بسم الله الرحمن الرحيم «الظنّ أكذب الحديث»

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» صحيح الجامع الصغير. وأخاف على كثير من طلاب العلم والواعظية والمفكّرية الموصوفين بالإسلاميّين (هداهم الله) من فساد وإفساد الدنيا بحرصهم على تحصيل المال والشرف (الشهرة والسلطة وكثرة المريدين) فتحوّل علاقتهم بالناس إلى ما يشبه العلاقة التي تحكم برامج (ما يطلبه المستهلكون) من الحرص على اجتذاب الناس بتقديم ما يرضيهم من وهم الظنّ ولو خالف بقية الوحي والفقه فيه أو خالف العقل.

١) يصرّح بعضهم بمزجه كما نقلت المجلّة العربيّة عدد (٩٦) عن الشيخ اللبيسي أنه: (لم يعجبه طرح المشايخ منذ بداية طلبه العلم)؛ لم يقل إنه طرح مشايخ [لوضح التعبير] خالف الكتاب والسنّة فطرحهم، بل كان مرجعه ومرجع محرّر المجلّة - فيما ظهر لي منهما - مجرد الإعجاب بالرأي ولهو الهوى.

٢) ونقلت مجلّة التقوى اللبنانية (العدد ١ ص ٩) عن الشيخ القرضاوي رأيه في أنه (علينا في هذا العصر أن نفهم نصوص الوحي فهماً جديداً) أي: أنه الرجوع للهوى مرة أخرى؛ ولو كان لكلّ عصر فهم جديد للنصوص لشاقّت العصور المتأخّرة الرسول من بعد ما تبيّن لها الهدى وخالفت سبيل المؤمنين: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾.

٣) وكتب الأستاذ البوطي في المجلّة نفسها (العدد ٩٠) يسوّغ الانحراف عن طريقة السلف ﴿سبيل المؤمنين﴾ بأنّ: (العادات تختلف وتتطوّر في اللباس والمباني والأواني)، ونحو - وأمثاله - يكرّرون هذه الحجّة الباطلة

دوبه وعمي للتفرقة بين العادات المباحة وأحكام الشريعة المفروضة التوقيفية (لمقرأ له بحث: السلفية ليست مذهباً ص١٤-١٧ و ص ٢٧٩ - ٤٠٠)، واقرأ للشيخ صالح الفوزان أثابه الله الرد عليه.

٤) وادّعى د. زكريا المصري في مجلة التقوى أيضاً (عدد ٩ ص ٤٤) أنّه: (الاستحسان طريقة إلى العودة بالناس إلى الشرع ... وأنّه علماء الأصول قالوا بالاستحسان)، ويا عجباً كيف يكون اتّباع لهوى النفس (وهو مرجع الاستحسان) طريقاً إلى العودة بالمبتدعة إلى التزام الشرع وهو مرجعهم في الابتداع؟

يقول أكبر علماء الأصول في القرن السابع والثامن (ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى جـ١١ ص ٢٤٤-٢٤٥): (والقول بالمصالح المرسلة يشرع منه الدين ما لم يأذن به الله، وهي تشبه من وجوه مسألة الاستحسان والتحسين العقلي ... والقول الجامع: أنّ الشريعة لا تهمل مصلحة قطّ، بل الله قد أكمل لنا الدين وأتمّ النعمة ... وكثير ممّا ابتدع الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام والتصوّف حسبوه نافعاً وحقّاً صواباً ولم يكن كذلك، بل كثير منه الخارج عن الإسلام: ﴿ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً﴾.

ويقول أحد أكبر علماء الأصول في القرن الثاني (الإمام الشافعي): (من استحسن فقد شرّع)، وذكر له رسالة مفصّلة عن ذلك بعنوان: (إبطال الاستحسان) طبعت على هامش (الأمّ).

أمّا أحكام الشريعة في الاعتقاد والعبادات وما ثبت بالوحي من المعاملات فلا يجوز الاستحسان فيه قطعاً وإجماعاً، وهو مقيّد بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين المهديين وبفهم أئمة الفقه في الدين في القرون المفضّلة، ولو ترك الأمر للاستحسان لضاع شرع الله ولتفرّقه

المسلمة في البيت - زيادة على تفرقهم - لأن العقول مختلفة والأفهام متفاوتة وكل يرى صواب رأيه: ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾.

٥) ويستجدي بعضهم الواعظية رضى النساء وشبع دعوى المفتونين الفاتنية بالمطالبة بما يسمى (حقوق المرأة وحرية المرأة) فتتحول دروسهم إلى قضايا عاطفية تقوم على أن الزوج ظالم والزوجة مظلومة في كل حال، وينشغل بذلك عن الدين والدعوة إليه ويشغل به. ويستوري بعضهم زناد الفتنة مستغلاً حماس الشباب ولهوهم فيوجه مواعظ الطهرة (للشباب فقط) استدراجاً لهم للحزبية الضيقة والانعزال والخروج عن الجماعة الواحدة والجهاد الإجرامي. والدعوة إلى الله على منهاج النبوة تعم جميع المسلمين بل كل البشر.

٦) ويفتح بعضهم أبواب التحايل على الربا باسم السماحة واليسر، فتتسابق البنوك وشركات الصرافة إلى تعيينهم في كبار الموظفين بالشرعية بل مشاركتهم في رأس المال والأرباح: ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾، والنتيجة: وقوع كثير من القادرية في إدمان المخاطرة بشراء الأسهم وبيعها وما وراء ذلك الهم والقلق والأمراض النفسية، ويقع المحاجبون في فخ تيسير الإقتراض بفوائد (محللة) تصل إلى ٨٠٪ في مقابل ١٠٪ للفوائد (غير المحللة)، وما وراء ذلك الهم والقلق عند سداد الديون المتراكمة والفقر المقنع بمظهر الغنى.

٧) ويتجنب أكثر الواعظية التركيز على نشر التوحيد والسنة ومحاربة الشرك والبدعة أهم ما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه في كل مكان وكل زمان وكل حال، بل يتجنب أكثر الواعظية الفكريين مجرد ذكر لهذه الأصول العظيمة حذراً من نفور المبتدعة وهم أكثر المنتمين إلى الإسلام والسنة فضلاً عن غيرهم، وهم الأكثرون أوثاناً وبدعاً في المنطقة.

٧) والرّقية غير المشروعة من الحبائل التي نصبها الواعظون والدجّالون لتحصيل المال والشرف أو أحدهما.
أعرف زميلاً (دنيويّاً) أخفق أكثر من مرّة في محاولاته التجّاريّة فدلّه الاحتيال على تجارة مضمونة النّجاح الدّنيوي: الرّقية من مسّ الجنّ، وأكبر مشاكل اليوم: كثرة الإقبال عليه.
وإنه عصم الله من الضّلال والإضلال (الشفاء بالاحتيال) فقد عصم من بضاعة الشرّ، ولكنه لإضماره لذلك وليس له من العلم الشرعي ما يميّز به بين الحلال والحرام وبين التوحيد والشرك وبين السّنّة والبدع.
وأعرف آخر أقرب إلى العلم الشرعي امتهن الرّقية من العين فوقع في إفساد ذات البين «وهي الحالقة» بابتداعه لزواج رقيته بطلبه من الطرف تخيّل العائنة ممّن حوله والحكم على أساس هذا التخيّل.
٨) وقد سطّرت لهذا المقال استجابة لطلب من رجّحني إجابة طلبه تعقيباً على إجابتيه نشرتا في بعض وسائل الإعلام التي أكرمني الله بالاعتراض عنها:
١- تفسير الأستاذ الأديب (ابن سعد) في مجلة (ليلة خميس!) حُلم قارئ للمجلّة رأى أنه يمشي حافياً أو بفردة حذاء واحدة بأنّه: (يشير إلى دلالة غير مستحبّة وهي الانفصال عن زوجتك أو من تحبّ [لإفساد ذات البين مرّة أخرى ؟] لأنه دلالة فقدانه لإحدى فردتي حذائك التي كانت تقيك الحرّ والألم وربما يدلّ على بُعدها، ولهذا ليس جمعاً بالغيب ولكنّ دلالات رؤى وتفسيرات لأحداثٍ ما، أخي الكريم راجع نفسك واتّق الله في أهلك).
وتفسير الأحلام لا يقوم على قواعد شرعيّة تعصم المفسّر أو المعبّر من الزّلل، وإنّما هو الظنّ (والرّجم بالغيب) وبخاصّة في هذه الفتوى التي نفى عنها المفسّر الرجم بالغيب، فكيف عرف أنّ السّائل صادق أو كاذب، صغير

أو كبير، متزوج أو غير متزوج، ذكر أو أنثى؟ ولعله يوحي إلى السائل المصدق في دعواه نفي الرجم بالغيب) بدء التفكير في طلاق الزوجة أو مفارقتها يحث دونه أنه يخطر ذلك بباله قبل أنه يقع في مصيبة الفتوى بالظنة.

وقد يسرت وسائل الإعلام بتنوعها وتطورها وانتشارها للطامحين إلى مراقي العلماء أو التجار (دونه حاجة إلى بذل مثل جهودهم) تحويل تفسير الأحلام إلى تجارة بالمال والشرف تفسد الدين وتخدع المنتمين إليه.

ب - فتوى الشيخ العبيكان في جريدة عكاظ وغيرها بجواز الاستعانة بالجنة الصالحين، ودعواه أن الجنة (يقومون بعمليات جراحية في بعض الدول واستفاد منها عدد كبير من الناس).

والشيخ عبد المحسن العبيكان زاده الله من فضله وتوفيقه يختلف عمن سبقت الإشارة إليهم باسم أو ببدعة؛ فقد متعه الله بالعلم والعمل والدعوة إلى الله على بصيرة، وأحسبه اليوم خيرهم جمع الله لنبيه العلم والعمل الشرعي، وبيده الولاء لدولة التوحيد والسنة ومناصحة ولاة أمرها، وكانت وما زالت ترمى إليه أفئدة طلاب العلم الشرعي، بل كانت تميل إليه نفوس الحزبية والحركية طمعاً في ضمه إلى صف الخارجين عن جماعة المسلمين وإمامهم، وكاد يركن إليهم شيئاً قليلاً، ولكن الله ثبته فخيب سوء ظنهم به، فانفضوا من حوله بصورة منقضية مزرية (كأنهم حُمُر مستنفرة فرّت من قسورة)، وكاد بعضهم عن وبعضه عنهم فتحاً مبيناً في بلاد الدعوة إلى الله على منهاج النبوة فجعل الله سيفاً من سيوفه مضلتاً على رقاب الحزبية والمصبية وإفرازاتها من التكفير والتفجير والفتنة ما ظهر منها وما بطن.

أما الاستعانة بالجنة فقد استدل على جوازه بقصة الحديث أو الأثر الذي لا يسلم من مقال، وأما استدلاله برأي ابن تيمية رحمه الله فالحجة في روايته (إذا صحت سنداً ومتناً) وليست الحجة في رأيه كما قال الفقهاء رحمهم الله وخير من،

ولذلك لم يأخذ الشيخ ابن باز رحمه الله (وأحسبه خير من جمع الله له العلم والعمل والدعوة على بصيرة وحسن الخلق - ومن الصبر والعفو والكرم بالنفس والوقت والمال - في عصره) برأي ابن تيمية رحمه الله بل منع الاستعانة بالجنّ مطلقاً، ولهذا يعني منع الإعانة في الخير وبين الحرفين كبير. وأحسب الاستعانة بالجنّ (لغير الشرّ والفتنة) من ملك سليمان الذي خصّه الله به فلا ينبغي لأحد من بعده.

ومن هنا الإنسان يجوز له الحكم بالصلاح على أحد من الجنّ؟ يرى الشيخ العبيكان أنه غير الصالحين من الجنّ ليس يعينوا مسلماً! بلى قد يعينونه فتنةً وابتلاء. وقد رأيت كثيراً من الدجّالين في البلاد المجاورة يدّعون الاستعانة بالجنّ (الرحمانيين)، وانخدع بهذه الحجة بعض خريجي كليات الشريعة في المملكة المباركة؛ فالواجب قطع هذه الذريعة وسدّ هذا الباب الذي ولج منه الدجّال.

أمّا عمليات الجنّ الجراحيّة فلا أهمّيّة للخوض فيها إذا اتفقنا على سدّ الذريعة بمنع الاستعانة بالجنّ (رحمانيين أو شيطانيين).

ولو كان الشيخ علم مشاهدةً بوجود عمليات جراحيّة جنّيّة فلعلّه من التخييل، كما خيّل لموسى عليه السلام أنّ حبال السحرة وعصيّهم حيّات تسعى.

أمّا كاتب هذه الأسطر فلم يسمع قبل اليوم بمثل هذه الدعوى من عالم أو طالب علم شرعي، ولكنّ ترد في مثل كتاب الصحفي محمد عيسى داود (حوار صحفي مع جنّي مسلم) ط ١، عام ١٤١٢ ص ١٠٥، وقد سمّى جنّيّه: مصطفى كنجور من بومبي في الهند وذكر عنه أنه أمير كبير حرس الخاصّ وحاشيته عشرة آلاف وعمره (١٨٠) سنة) ص ٨ و ٩.

ولكنّ الصحفي جزاه الله خيراً حذّر (ص ٥) من (الاستسلام للخيال والتقيّد بما يمليه العقل - فحسب - والجزم [فارغ] سُبُلٌ للضلال، وكلّ أو أحدها

كافية لانحراف التصورات وفساد العقيدة). وقال جزاه الله خيراً:
(ولست أفتي بالاستعانة بالجنّ فهذا أمر غير ميسور، ولا تؤمنه الفتنة
معه) ص ١٢٨.

٩) وأخطر نماذج دعوة الظنّ اليوم - في رأيي - موقع (الإسلام اليوم)
على شبكة المعلومات العالميّة؛ فنخبة طلاب العلم والعلماء والدعاة
إلى الله على منهاج النبوّة يفجؤون به تحت عنوان: (الإسلام اليوم) أنه الهدف:
مفارقة علم وعلماء وفقه الأئمة الأعلام (بالأمس)، وتقديم فهم
جديد أو تركيز جديد للدين لم يفهم (أو يقدّم) السلف الصالح في القرون
الأولى. يستدلّون على ذلك بضعف (أو عدم) تركيز الموقع على
إفراد الله بالعبادة ونضح عما سواه، ولا على التمسك بالسنّة والتحذير
من الابتداع في الدين، بل أكثر ما يهتمّ به: الفكر الموصوف بالإسلامي
أو المصيب أو بالموقف أو بالواقع (ولم نجد لهذه المصطلحات الثلاثة ذكراً في
كتاب ولا سنّة ولا فقه معتدّ به في القرون الماضية فضلاً عن الخيّرة،
وإنما المرجع أمثال سيّد قطب وأتباعهم تجاوز الله عنهم، ويسمّيه
سيّد: (فقه الحركة أو فقه الواقع) في مقدمة تفسيره لسورة يوسف
(في ظلال القرآن). أما الفقه في الدين (الذي أراد الله خيراً بأهله)
فيسمّيه سيّد (فقه الأوراق) ويسمّيه الغزالي المتأخر: (الفقه
البدوي ضيّق الأفق) السنّة النبويّة به أهل الفقه وأهل الحديث
ص ٥٥، ويسمّيه أتباع حسن البنّا وسيّد قطب تجاوز الله عنهم جميعاً:
(فقه الحيض والنفاس وفقه الوضوء والغسل)، ولعلّ الأدنى
يعذرهم بجراحهم لوقوعهم - جميعاً - في الاستهزاء بأحكام الشريعة الثابتة
بالكتاب والسنّة وإجماع فقهاء الأمّة. ويزيد خطره أنه القائمة عليه من
خرّجتهم كليّات الشريعة بالمملكة المباركة الذين اشتهروا بازدحام الفقه ولادة أمرها.
اللهم اهد الجميع لأقرب منه لهذا رشداً.